﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [النحل: 66]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

في مستخلص الأنعام الآيات الجسام، والأدلَّة العظام

لمّا ذكَر ﷻ إحياء الأرض بعد موتها بالنَّبات والزَّرع؛ ذَكَر الأنعام التي هي مألوف العَرَب؛ حيث لا حياة لها بغير المطر النّازل مِنَ السَّماء والنَّبات النّاشئ عنه، ثمَّ نبَّه سبحانه إلى ما في هذه الأنعام مِنْ دلائل قُدرته، وبدائع صنعته؛ وهو اللَّبن المُخْرَج من بين الفَرْثِ والدَّم دون أن يبغي عليه أيٌّ منهما؛ حيث لا يَسَعُ الإنسانَ إلّا أن يقف منبهرًا تهتف كلُّ ذرَّةٍ فيه بتسبيح الخالِق البديع جلَّ في عُلاه[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿لَعِبْرَةً﴾: "أصلُ العَبْر: تجاوزٌ من حالٍ إلى حال"، والعِبرة: الحالةُ التي يُتوصَّل بها مِن معرفة المشاهَد إلى ما ليس بمشاهَد[2]، والعِبَرُ جمع العِبْرة، وقول الله ﷻ: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً﴾ يعني: لَعِظةً، ودلالةً على قُدرة الله ووحدانيَّته وعظمته، يُعبَر بها من الجهل إلى العِلم[3].

2) ﴿بُطُونِهِۦ﴾: البَطْنُ: خلافُ الظَّهر في كلِّ شيء، ويُعَبَّر به عن داخل الشَّيء كما يُعَبَّر بالظّاهر عن خارجه، وجمعه: أبطُن وبُطون وبُطنان، والبَطنُ من كلِّ شيء: جَوفُه، ويُقال لكلِّ غامض: بطنٌ، وبَطَنَ الشَّيءُ: خَفيَ كأنَّه في بَطْنٍ[4].

---

(1) الرازي، مفاتيح الغيب: 20/ 231، وأبو حيان، البحر المحيط: 6/ 553، وابن عادل، اللباب: 12/ 98، والبقاعي، نظم الدرر: 11/ 192، والآلوسي، روح المعاني: 7/ 414.

(2) الراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ، والفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز: (عبر).

(3) البغوي، معالم التنزيل: 8/ 329، والقرطبي، أحكام القرآن: 10/ 123، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 3/ 231.

(4) الخليل، العين، والأزهري، التهذيب، والجوهري، الصحاح، وابن فارس، المقاييس، والراغب، المفردات، وابن منظور، اللسان، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (بطن).

3) ﴿فَرْثِ﴾: الفَرْثُ: ما في الكَرِش[1]، وجمعه: فُروث[2]، وأصلُه يدلُّ على التفتُّت والتَّسيُّب[3]؛ يُقالُ: فرَثَ كَبِدَه؛ أي: فتَّتها، وأفرثتُ الكرش، أي: شققتُها ونثرتُ ما فيها، وفرثتُ الجُلَّة، أي: مزَّقتُها ونثرتُ جميع ما فيها[4].

4) ﴿وَدَمٍ﴾: الدَّمُ من الأخلاط معروفٌ[5]، ومعناه المحوريُّ: "مائعٌ أحمر تمتلئ به أثناء بدن الحيّ، فيتجسَّم الحيّ ويتماسك"[6]، وأصله دَمَيٌ[7]، ويقال: دَمِيَ الشيء يَدْمَى دَمًى، وجمعه: دِماء[8].

5) ﴿لَّبَنًا﴾: لبن: خَلاصُ الجسد، ومستخلَصُه من بين الفَرْث والدَّم[9]، وهو كالعرق يجري في العروق[10]، ومعناه المحوريُّ: "احتواء الباطن على لطيفٍ من شأنه أن يَخرج ثم يتمسَّك ويتخثَّر أو يظهر، كاحتواء الحيوانات على لبنها"[11] وألبنت الناقة إذا نزل لبنُها في الضَّرع[12].

6) ﴿خَالِصًا﴾: خَلَص الشيء يخلُص خُلوصًا وخَلاصًا إذا كان قد نشِب ثم نجا وسلم[13]، وأصل معنى هذا الجذر: "تنقية الشَّيء وتهذيبه"[14].

7) ﴿سَآئِغًا﴾: ساغ الشَّراب يَسوغ سَوغا وسَواغًا: سَهُل مدخلُه وانحداره في الحلق[15]، ومنه قوله تعالى: ﴿سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ﴾، وأصل هذا الجذر يدلُّ على "سُهولة الشَّيء واستمراره في الحَلْق خاصَّةً"[16]، والسّائغ من الشَّراب: العَذْب[17].

---

(1) ابن فارس، المقاييس، والراغب، المفردات: (فرث).
(2) الجوهري، الصحاح، وابن منظور، اللسان: (فرث).
(3) الخليل، العين، والأزهري، التهذيب، والجوهري، الصحاح، وابن فارس، المقاييس: (فرث).
(4) ابن منظور، اللسان: (فرث).
(5) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، وابن فارس، المجمل، والراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (دمي).
(6) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (دمي).
(7) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، والجوهري، الصحاح، وابن فارس، المجمل، والراغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (دمي).
(8) الجوهري، الصحاح، والراغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (دمي).
(9) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ، وابن منظور، لسان العرب: (لبن).
(10) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (لبن).
(11) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (لبن).
(12) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، والراغب، المفردات: (لبن).
(13) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (خلص).
(14) ابن فارس، مقاييس اللغة: (خلص).
(15) الجوهري، الصحاح، والراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ، وابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (سوغ).
(16) ابن فارس، مقاييس اللغة: (سوغ).
(17) ابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (سوغ).

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

وفي كلِّ شيءٍ له آيةٌ تدلُّ على أنَّه الواحد

وإنَّ لكم - أيُّها النّاس - في الإبل والبقر والغنم لَعِظةً وعلامةً تدلُّ على بديع صنعنا وباهر قدرتنا وواسع فضلنا وعظيم رحمتنا؛ إذ نسقيكم ممّا في بطونها من بين فضلات الطَّعام والدَّم النَّجس السّاري في الشَّرايين والعروق لبنًا نقيًّا صافيًا من الشَّوائب والأكدار لذيذًا طعمه للشّاربين[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

بلاغة العطف في الآية:

تعداد النِّعم دليل على رحمة مَن أنشاها، والتَّذكير بها دليلٌ على كثرة مَن ينساها

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً﴾ معطوفٌ على جملة ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾؛ أي: كما كان القوم يسمعون عِبْرَةً في إنزال الماء من السماء لكم في الأنعام عِبْرَةٌ أيضًا، إذ قد كان المخاطبون - وهم المؤمنون - القومَ الذين يسمعون[2]، وقد حَسُن الوصل هنا دون الفصل لما بين الجملتين الكريمتين من الاتِّصال، وتمام المناسبة، وعدم وجود ما يدعو إلى الفصل بينهما.

دلالة توالي المؤكّدات في صدر الآية:

تتوالى المؤكّدات لدفع الإنكار، ولدعوة المؤمنين لمزيد تدبُّرٍ واعتبار

في هذه الجملة الكريمة مجموعةٌ من المؤكِّدات هي: الحرف النّاسخ (إنَّ)، واسميَّة الجملة، واللّام في قوله: ﴿لَعِبْرَةً﴾، ووقوع الجملة معطوفة على سابقتها المشحونة بالمؤكِّدات.

فتوكيد هذه الجملة الكريمة بـ (إنَّ)، و(لام الابتداء) كتأكيد الجملة قبلها[3].

وتوالي هذه المؤكِّدات في صدر الآية إنَّما جاء مراعاةً لمقتضى

(1) ابن جرير، جامع البيان: 14/ 270، والبغوي، معالم التنزيل: 5/ 27، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 4/ 498، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 3/ 231.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/ 199.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/ 199.

الظّاهر، فإنَّ الكلام موجَّهٌ إلى منكِرين؛ فلذلك حسُنَ فيه أن يؤكَّد بأكثر من مؤكِّد، وإذا وُجِّه الكلام إلى المؤمنين فلإنزال غير المنكِر منزلة المنكِر، ويكون الغرضُ ساعتئذٍ هو لفت الأنظار إلى مزيد التَّدبُّر والاعتبار.

دلالة اللّام في ﴿لَكُمۡ﴾:

في التَّخصيص بالنِّعمة تعظيمٌ لشأن المنَّة

اللّام في قوله تعالى: ﴿لَكُمۡ﴾ هي لام الاختصاص؛ أي: لكم خاصَّةً أيُّها النّاس عِبرة وعِظة[1]وهذا الاختصاص مُشعِرٌ بعظيم فضل الله الذي خلَق هذه الأنعام وسخَّرها للإنسان، يأكل من لحومها، ويشرب من ألبانها، ويتَّخذ من أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثًا ومتاعًا إلى حين.

غرضُ تقديم شبه الجملة ﴿لَكُمۡ﴾:

كيف للمُدَّثِّر بالنِّعم أن يكفر بمَن أسبغها عليه وخصَّه بها

في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ﴾ قُدِّم شبه الجملة - وهو المسند - ﴿لَكُمۡ﴾ على المسند إليه ﴿لَعِبۡرَةٗۖ﴾ لغرض التَّخصيص: تخصيص المسند إليه بالمسند وقَصره عليه، فكأنَّ العِبرة التي في الأنعام إنَّما هي مقصورةٌ على المخاطَبين بهذه الآية، وهم كلُّ مَن يصلح أن يسمع هذا الخطاب، وفي هذا بيانٌ بإسباغ النِّعمة، وإيصال المِنَّة، فكيف بعد هذا يكفر الكافرون؟

نكتة الالتفات مِنَ الغَيْبة إلى الخطاب:

يخاطَب المقصودون بالنِّعمة؛ تذكيرًا للمؤمنين، وتحذيرًا للمعرضين

في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمۡ﴾ إلى آخر الآية التفاتٌ من ضمير الغَيْبة في ﴿لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ﴾ في الآية السّابقة إلى ضمير الخطاب هاهنا[2]، وتتجلَّى بلاغة الالتفات هاهنا في كون توجيه الكلام إلى المخاطَبين أنجعَ في تذكيرهم بالنِّعمة؛ إذ إنَّهم يملكونها، وينتفعون بها أيَّما انتفاع.

(1) الهلال، الثري الجامع: 6/ 182.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/ 199.

غرضُ حرف الوعاء في قوله ﴿فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾:

الأنعام محلُّ الإنعام، وفي الألبان رحمةٌ وامتنان

في قوله تعالى: ﴿فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾ إيجازٌ، إذ العِبرة التي ذَكَرها القرآن الكريم في خَلْق النَّعَم من نواحٍ كثيرة، فهي في خلقها وجمالها حين تريحون وحين تسرحون، وفي تذليلها للإنسان وإلفها له لتذلَّ له وتخضع وتستكين، وكلُّ ذلك بتسخير الله تعالى لمَن أراد أن يعتبر ويؤمن بنعم الله تعالى ويشكرها كما أنعم[1]، وقد اقتصرت عبارة الآية الكريمة على قوله: ﴿فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾ لتشمل كلَّ نِعمة في الأنعام، وفي حرف ﴿فِي﴾ معنى الظَّرفيَّة[2]، فكأنَّ الأنعام صارت ظرفًا للعِبرة، ففي كلِّ جزءٍ مِن أجزائها محلٌّ للعِبرة والعِظة للمتأمِّلين، وقد تكون ﴿فِي﴾ للسَّببيَّة، والمعنى: وإنَّ لكم بسبب الأنعام لعبرة؛ أي بسبب اللَّبن الذي يخرج من بطونها على الوجه المذكور[3].

نوع (اللّام) في ﴿ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾:

إلـفُ النِّعمة يُنسِي المُنعِم، ويُبطِر المُنعَم عليه

يصحُّ في لام الأنعام أن تكون للعهد الذِّهني؛ إذ هي معلومةٌ لديهم، أو للعهد الذِّكري، ويكون معناه: "ممّا في بطون ما ذكرناه، فهو عائدٌ على المذكور"[4]، وبذلك تنتظم الآية في نسَق خطاب القوم بما عَهِدوا من نِعم الله التي أعرضوا عنها نفورًا واستكبارًا، فكما كان الخطاب بلفت الأنظار لِما في الأرض والسَّماء المعهودتين من جليل النِّعم، وعظيم المنن كان الخطاب هنا بلفت النَّظر إلى ما في الأنعام التي عهدوها مِن صور اللُّطف الإلهيِّ، والرَّحمة الرَّبّانيَّة، ويصحُّ كذلك أن يُراد بها الجنس؛ "فإنَّ اللَّبن لبعضها دون جميعها، أو لواحده، أو له على المعنى، فإنَّ المُراد به الجنس"[5].

(1) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 8/ 4210.
(2) الهلال، الثري الجامع: 6/ 182.
(3) الصاوي، حاشية على الجلالين: 2/ 317، والجمل، حاشية على الجلالين: 4/ 240.
(4) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 10/ 123.
(5) البيضاوي، أنوار التنزيل: 3/ 232.

غرضُ تقديم ﴿فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾:

قُدِّم شبه الجملة ﴿فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾ على المسند إليه ﴿لَعِبۡرَةٗ﴾ لغرض التَّخصيص، ففي الأنعام عبرةٌ خاصَّةٌ[1]، إضافةً إلى أنَّ هذا التَّقديم أفاد لفت النَّظر إلى المقدَّم، فهو مناط العِبرة المقصود التَّنبيه عليها، ولفت الأنظار إليها، وأفاد كذلك تشويق السَّمع إلى المتأخِّر، فكأنَّ سؤالًا طرأ في الذِّهن، تقديره: أيُّ شيءٍ لنا في الأنعام اختصصنا به؟ فجاء الجواب مؤكَّدًا باللّام: ﴿لَعِبۡرَةٗ﴾.

في المقدَّم مناط العبرة المقصود التَّنبيه عليها، ولفت الأنظار إليها

معنى اللّام في قوله ﴿لَعِبۡرَةٗ﴾:

اللّام في قوله تعالى: ﴿لَعِبۡرَةٗ﴾ هي لام الابتداء - المزحلَقة - للتَّوكيد[2]، وممّا حسَّن التَّوكيد هنا مراعاة مقتضى الظّاهر؛ لأنَّ القوم تولَّوا عن الآيات وأعرضوا، فسيق لهم الخطاب مُؤكَّدًا ليقيم عليهم الحجَّة بالبلاغ.

ما أقبح الإعراض مِن داءٍ يُعمِي عن إبصار الآيات والآلاء

غرضُ تنكير ﴿لَعِبۡرَةٗ﴾:

جاءت كلمة ﴿لَعِبۡرَةٗ﴾ نكرةً في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗ﴾ لغرض التَّعظيم والتَّفخيم[3]، إذ هي عِبرةٌ عظيمةٌ، وأيَّ عِبْرةٍ تَحار في درْكها العقولُ، وتهيم في فهمها ألبابُ الفحول[4].

في الأنعام عِبرةٌ عظيمة تحار في دركها العقول، وتهيم في فهمها ألباب الفحول

بلاغة الإدماج في التَّذكير بالنِّعم مع ذِكر الأنعام:

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗ﴾ حجَّةٌ أخرى، ومِنَّةٌ من المِنن النّاشئة عن منافع خَلْقِ الأنعام، أدمج في منَّتها العِبرة بما في دلالتها على بديع صُنْعِ الله تبعًا لقوله تعالى: ﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۚ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ﴾ [النحل: 5] إلى قوله: ﴿لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ۝٧﴾ [النحل: 7]، واختصَّت هذه العِبرة بما تنبَّه إليه من بديع الصُّنع والحكمة في خَلْقِ الألبان

في آيـات الله دلائل وحدانيَّته، وبراهين ربوبيَّته

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز: 3/ 405.
(2) بهجت صالح، الإعراب المفصل: 6/ 171.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 7/ 414.
(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 124.

بقوله: ﴿مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا﴾، ثمَّ بالتَّذكير بما في ذلك مِنَ النِّعمة على النّاس إدماجًا للعِبرة بالمِنَّة[1].

موقع جملة ﴿نُّسْقِيكُم﴾:

قوله تعالى: ﴿نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ﴾ استئنافٌ بيانيٌّ ناشئ عن سؤالٍ مُقدَّر، فكأنَّه قيل: كيف العِبرة؟ فقيل: نسقيكم من بين فرْثٍ ودَمٍ؛ أي: يخلق اللّه اللَّبن وسيطًا بين الفَرْثِ والدَّم يكتنفانه، وبينه وبينهما برزخٌ مِنْ قُدرة اللّه لا يبغي أحدهما عليه بلونٍ ولا طعم ولا رائحةٍ، بل هو خالصٌ من ذلك كلِّه[2]، فالاستئناف هنا لبيان العِبرة[3].

إخراج اللَّبن من بطون الأنعام حكمةٌ بالغةٌ، وحُجَّةٌ على الخَلْقِ دامغة

دلالة التّعبير بالمضارع ﴿نُّسْقِيكُم﴾:

دلَّ التَّعبير بالمضارع في قوله تعالى: ﴿نُّسْقِيكُم﴾ على تجدُّد السُّقيا واستمرارها، وأنَّها نِعمةٌ مِنَ اللّه تعالى باقيةٌ لعباده، وهذا وعدٌ مِنَ الذي لا يخلِف الميعاد، فما أبيدت الزُّروع، ولا جفَّت الضُّروع.

وَعْدُ اللّه بالسُّقيا مُستمرٌّ لا يُخلَف، فما أُبيدت الزُّروع، وما جفَّت الضُّروع

بلاغةُ الإدماج في ﴿نُّسْقِيكُم﴾:

في قوله تعالى: ﴿نُّسْقِيكُم﴾ دون أن يقول: تَشربون أو نحوه إدماجٌ، حيث أدمج بيان العِبرة من الأنعام وهي إخراج اللَّبن الصّافي مِنْ بين الفَرْثِ والدَّم، في سياق الامتنان والتَّدليل على براهين الوحدانيَّة[4]؛ إذ لا يَقْدِرُ على ذلك إلّا اللّه تعالى، وفيه تعريضٌ بمعبوداتهم الباطلة التي لا تَقْدِرُ على خَلْقِ ذُباب ولو اجتمعت له.

في طيِّ كلِّ نِعمةٍ نِعمٌ وآلاء

دلالةُ حرف الجرِّ في قوله ﴿مِّمَّا﴾:

(مِنْ) في قوله تعالى: ﴿مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ﴾ يجوز أن تكونَ للتَّبعيض،

جوازُ كون (مِنْ) تبعيضيّةً وابتدائيّة

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/ 199 - 200.

(2) الزمخشري، الكشاف: 2/ 615، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 124، والآلوسي، روح المعاني: 7/ 414، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/ 199.

(3) البيضاوي، أنوار التنزيل: 3/ 231.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/ 199 - 200.

وأن تكونَ لابتداءِ الغاية[1]، أمّا التَّبعيض، فلأنَّ اللَّبن بعضُ ما في بطونها[2]، كونه مخلوقًا من بعض أجزاءِ الدَّم المُتولِّدِ مِنَ الأجزاء اللَّطيفةِ التي في الفَرْثِ[3]، وأمّا الابتداء فلأنَّ اللَّبن يُفْرَزُ عن العَلَف الذي في البطون، وما صَدَقَ ﴿مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ﴾ هو العَلَفُ[4].

دلالة (ما) في ﴿مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ﴾:

(ما) في قوله تعالى: ﴿مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ﴾ اسمٌ موصولٌ مبنيٌّ على السُّكون في محلِّ جرٍّ بـ (مِن)[5]؛ أي: نسقيكم مِنَ اللَّبن الخارج من بين الفَرْثِ والدَّم[6].

غرضُ التَّعبير بصلة (ما) ومجيء الظَّرفيّة:

قوله تعالى: ﴿فِي بُطُونِهِۦ﴾ صلة الموصول (ما)، وعُبِّر بها لإرادة الوصف بما تضمَّنته هذه الصِّلة، وفائدته أمران:

في إخراج اللَّبن من بطون الأنعام قُدرةٌ عظيمةٌ على الخَلْق ورحمةٌ فاضلةٌ بالخَلْق

الأوَّل: الإخبار بأمرٍ غيبيٍّ لا يراه المخاطَبون؛ إذ إنَّهم ما رأوا إلّا اللَّبن الصّافي بعد خروجه من بطون الأنعام، ولكنَّهم ما رأوا كيف يُخلَق في هذه البطون، وكيف يُصَفَّى ممّا يحيط به في محلِّه، فأُخبروا بذلك.

الثّاني: التَّنبيه على كون المخاطَبين لا يقدرون على إخراج هذا المشروب الذي يتغذَّون به من بطون الأنعام إلّا بقُدرة الله تعالى.

نكتةُ إفراد الضَّمير في ﴿بُطُونِهِۦ﴾:

قوله تعالى: ﴿مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ﴾ الضَّمير عائدٌ إلى الأنعام، فكان الواجب أن يُقالَ: (ممّا في بطونها)، وذَكَر النَّحويّون فيه وجوهًا:

العِبرةُ إنَّما هي في الأنعام، رحمةً من الله بالأنام

(1) السمين الحلبي، الدر المصون: 7/ 252.
(2) الزمخشري، الكشاف: 2/ 616.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 124.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/ 200.
(5) بهجت صالح، الإعراب المفصل: 6/ 172.
(6) ابن جرير، جامع البيان: 17/ 33.

الأوَّل: أنَّ لفظ الأنعام لفظٌ مفردٌ وضع لإفادة جمع، كالرَّهط والقوم والبقر والنَّعم، فهو بحسب اللَّفظ مفردٌ، فيكون ضميره ضمير الواحد، وهو التَّذكير، وبحسب المعنى هو جمعٌ، فيكون ضميره ضمير الجمع، وهو التَّأنيث؛ فلهذا السَّبب قال هاهنا: ﴿فِي بُطُونِهِۦ﴾، وقال في سورة (المؤمنون): ﴿فِي بُطُونِهَا﴾ [المؤمنون: 21].

الثّاني: قوله: ﴿فِي بُطُونِهِۦ﴾؛ أي: في بُطون ما ذَكَرنا، وهذا شائعٌ في القرآن، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي﴾ [الأنعام: 78]؛ يعني: هذا الشَّيء الطّالع، وقال: ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ۝٥٤ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝٥٥﴾ [المدثر: 54 - 55]؛ أي: ذِكر هذا الشَّيء، وهذا جائز فيما يكون تأنيثه غير حقيقيٍّ.

الثّالث: أنَّ فيه إضمارًا، والتَّقدير: نسقيكم ممّا في بطونه اللَّبن إذ ليس كلُّها ذات لبن[1]. فالضَّمير عائدٌ على البعض؛ إذ الذُّكورُ لا ألبان لها، فكأنَّ العِبرة إنَّما هي في الأنعام[2].

فجاء الضَّمير مفردًا ليشمل هذا كلَّه.

اللَّبنُ بعضُ ما في بطون الأنعام، وهو جزءٌ من الإنعام

دلالةُ موقع قوله ﴿مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ﴾:

قوله تعالى: ﴿مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ﴾: جارٌّ ومجرورٌ متعلِّق بـ (نُسْقِي) أو بمفعول (نُسْقِي) الثّاني المحذوف؛ لأنَّ (مِن) التَّبعيضيَّة حلَّت محلَّه بتقدير: نسقيكم بعضًا؛ لأنَّ اللَّبن بعض ما في بطون الأنعام، و(ما): اسم موصول مبنيٌّ على السُّكون في محلِّ جرٍّ بـ (من)، والجارُّ والمجرور ﴿فِي بُطُونِهِۦ﴾ مُتعلّقٌ بحالٍ محذوفةٍ مِن الموصول (ما)، و(مِن) هنا بيانيَّة، والهاء ضمير متَّصل في محلِّ جرٍّ بالإضافة[3].

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 20/ 232.
(2) ابن عطية، المحرر الوجيز: 3/ 405.
(3) بهجت صالح، الإعراب المفصل: 6/ 172، ودرويش، إعراب القرآن: 5/ 330.

غرضُ تقديم ﴿فِي بُطُونِهِۦ﴾ على المفعول به:

النَّفْسُ لمعرفة المُؤخَّر أشوَق، وهي به أعلَق

في قوله تعالى: ﴿نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ﴾ الآية قُدِّم شبه الجملة على المفعول به ﴿لَّبَنًا﴾، وغرض تقديمه على المفعول هو تشويق النَّفْس إلى المُؤخَّر، الموجب لفضل تمكينه عند ورودِه عليها، لا سيَّما إذا كان المُقدَّمُ متضمِّنًا لوصفٍ منافٍ لوصف المؤخَّر كالذي نحن فيه؛ فإنَّ بين وصفَي المقدَّم والمؤخَّر تنافيًا وتنائيًا بحيث لا يتراءى ناراهما، فإنَّ ذلك ممّا يزيد الشَّوقَ والاستشراف إلى المؤخَّر كما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا﴾ [يس: 80][1].

توجيه المتشابه اللّفظيّ مع ﴿ فِي بُطُونِهَا﴾:

النَّعَم تفيض بالنِّعَم

قال الله تعالى هاهنا في سورة النحل: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ﴾، وقال في سورة (المؤمنون): ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا﴾ [المؤمنون: 21]، فأعاد في أحد الموضعين ذِكر المذكَّر، وفي الآخر ذِكر المؤنَّث، واللَّفظان سواء، فما علَّة ذلك؟

والجواب أنَّه في سورة النَّحل - وإن أُطلق لفظ الأنعام جمعًا - فإنَّ المُراد به بعضُها ذلك أنَّ الدَّرَّ لا يكون لجميعها، وأنَّ اللَّبن لبعض إناثها، فكأنَّه قال: وإنَّ لكم في بعض الأنعام لعِبرةً نسقيكم ممّا في بطونه، ولهذا ذهَب مَن ذهَب إلى أنَّه ردَّ على النَّعَم؛ لأنَّه يؤدِّي ما يؤدِّيه الأنعام من المعنى.

أمّا في سورة (المؤمنون)، فالأمر ليس كذلك؛ لأنَّه عطَف عليه ما يعود على الكلِّ ولا يقتصر على البعض، وهو قوله تعالى: ﴿نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المؤمنون: 21 - 22] فأخبر عن النِّعَم التي في أصناف

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 124 - 125، والآلوسي، روح المعاني: 7/ 417.

النَّعَم إناثها وذُكورها، فلم يحتمل أن يراد بها البعض كما كان في الأوَّل ذلك، ثمَّ يحتمل أن يكون المُراد البعض فأنَّث حملًا على الأنعام، وما قيل من أنَّ الأنعام ههنا بمعنى النَّعَم لأن الألف واللّام تلحق الآحاد بالجمع، وفي إلحاق الجمع بالآحاد حُسن، لكنَّ الكلام وقع في التَّخصيص؛ والوجه ما ذُكر[1].

دلالة حرف الجرّ في ﴿مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ﴾:

﴿مِنۢ﴾ في قوله تعالى: ﴿مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ﴾ لابتداء الغاية؛ لأنَّ بين الفَرْثِ والدَّم مكان الإسقاء الذي منه يبتدأ، فهو صلةٌ لـ﴿نُّسۡقِيكُم﴾، كقولكَ: سقيتُه مِنَ الحَوضِ[2].

سرُّ الظَّرفيَّةِ المجازيَّة ﴿بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ﴾:

من بلاغة القرآن تقريب المعنى للنّاس بحسب فهمهم، ومبالغ علمهم

قال المفسِّرون: إنَّ المُراد من الآية هو أنَّ اللَّبن إنَّما يتولَّد من بعض أجزاء الدَّم، والدَّم إنَّما يتولَّد من الأجزاء اللَّطيفة التي في الفَرْثِ[3]؛ فمعنى كونِ اللَّبن من بين الفَرْثِ والدَّم أنَّه إفرازٌ حاصلٌ في حين إفراز الدَّم وإفراز الفرث.

وقال بعضُهم: إنَّ المُرادَ من الآية هو أنَّ اللَّبن يتميَّع من بين طبقتي فرثٍ ودم، وذلك أنَّهم حملوا ﴿بَيۡنِ﴾ على حقيقتها من ظرف المكان، بخلافِ مَن حملَها على المكان المجازيِّ، فيُراد بها الوسط بين مَرتبتيْن، فمن بلاغة القرآن هذا التَّعبير القريب للأفهام لكلِّ طبقةٍ مِن النّاس بحسب مبالغ عِلمهم، مع كونه موافقًا للحقيقة[4].

والحاصل أنَّ البينيَّة يحتمل أن تكون باعتبار المكانيَّة حقيقةً كما قاله المفسرون، ويحتمل أن تكون البينيَّة مجازيَّة، باعتبار تولُّده ممّا

(1) الإسكافي، درة التنزيل: 1/ 852، والكرماني، أسرار التكرار، ص: 162.
(2) الزمخشري، الكشاف: 2/ 616، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 3/ 232، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 124، والآلوسي، روح المعاني: 7/ 417، والسّمين الحلبي، الدر المصون: 7/ 257.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 20/ 233.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/ 200 - 201.

حصل في الفرث أوّلا، وتولُّده مِن الدَّم النّاشئ مِن لطيف ما كان في الفرث ثانيًا كما قرَّره بعضهم[1].

غرضُ الترتيب في ﴿فَرْثٍ وَدَمٍ﴾:

في قوله تعالى: ﴿مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا﴾ قُدِّم قوله: ﴿فَرْثٍ﴾ على ﴿لَّبَنًا﴾ وهو صفةٌ له في المعنى؛ لأنَّه موضع العِبرة، فهو معنًى به جديرٌ بالتَّقديم؛ لكونه حاصلًا من نَجس، وهو في مَعْرِض أن ينقلب إليه؛ لأنَّه إن لم يسبق يخرج من مخرج فضلات الهضم الرّابع، كما أنَّه لو تأخَّر فقيل: لبنًا من بين فرثٍ ودَم كان صفةً له، وإنَّما قُدِّم لأنَّه موضع العِبرة، فهو قَمِنٌ بالتَّقديم[2]؛ إذ المقصود: تخليص اللَّبن مِن غيره[3].

تقديم موضع العبرة أوقع في النَّفس، وأكثر إيقاظًا للحِسّ

دلالة تنكير ﴿فَرْثٍ وَدَمٍ﴾:

في قوله تعالى: ﴿فَرْثٍ وَدَمٍ﴾ جاءت الكلمتان نكرتين، وغرض التَّنكير هنا هو الإفراد؛ إذ المعنى أنَّ الله تعالى أخرج من كلِّ أُنثى من دوابِّ الأنعام لبنها من بين فرثها ودمها.

الموقع النَّحويُّ لقوله: ﴿بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ﴾:

قوله تعالى: ﴿بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ﴾ في موقع الحال؛ لأنَّه كان في الأصل صفةً لقوله تعالى: ﴿لَّبَنًا﴾ وقدّم عليه، ويجوز أن يكون حالًا من (ما) التي قبله[4]، وقُدِّم شبه الجملة للاهتمام به، لأنَّها موضع العِبرة، فكان لها مزيد اهتمام[5].

يُقدَّم موضع العِبرة إلى الأمام؛ لِما له من مزيد اهتمام

غرضُ التَّقديم بين أشباه الجُمل في الآية:

في قوله تعالى: ﴿مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ﴾ جُعل ﴿مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ﴾ تبيينًا

تقديم موضع العِبرة أظهر للنِّعمة، وأوكَد للفكرة

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 6/ 556.
(2) الزمخشري، الكشاف: 2/ 616.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 11/ 193.
(4) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 5/ 330.
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/ 201.

لمصدره لا لمورده، فليس اللَّبن ممّا في البطون؛ ولذلك كان ﴿مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ﴾ مُتقدِّمًا في الذِّكر ليظهر أنَّه متعلِّق بفعل ﴿نُّسْقِيكُم﴾ وليس وصفًا للَّبن[1]، وأمّا قوله تعالى: ﴿مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ﴾ حال من ﴿لَّبَنًا﴾ فقد قُدِّم عليه لتنكيره، وللتَّنبيه على أنَّه موضع العِبرة[2].

الموقع النَّحويُّ لقوله: ﴿لَّبَنًا﴾:

قوله تعالى: ﴿لَّبَنًا﴾ مفعول ثانٍ لـ﴿نُّسْقِيكُم﴾[3]، كونه يحصل في الضَّرع لا في البطن[4]، وإنَّما تأخَّر لغرض التَّشويق له، ولأنَّ العِبرة كانت في إخراجه صافيًا خالصًا من بين فرْثٍ ودَمٍ، فلا هو ملوَّثٌ بلون الدَّم، ولا هو منكَّهٌ بريح الرَّفث، ولا فيه عكَرٌ ولا خبث.

اللَّبن ليس منكَّهًا بريح الرَّفث، وليس فيه عَكَر ولا خبث

غرضُ تنكير ﴿لَّبَنًا﴾:

جاءت كلمة ﴿لَّبَنًا﴾ نكرةً لغرض التَّعظيم، والتَّعظيم هنا مُنصبٌّ على النِّعمة؛ فإخراج اللَّبن من بطون الأنعام من بين الفَرْثِ والدَّم صافيًا خالصًا سائغًا للشّاربين هو نعمةٌ عظيمة.

عَينُ العِبرة في خروج اللَّبن من بين القذَر والكدرة لم تُلَوَّث منه قَطرة

معنى اللّام في ﴿لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ ودلالتها:

لامُ الجرِّ في قوله تعالى: ﴿لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ هي للاختصاص، فكون اللَّبن سائغًا في الحَلْق هذا أمرٌ مُختصٌّ بمَن ذاقه وشربه.

نوع (اللّام) في ﴿لِّلشَّٰرِبِينَ﴾:

(اللّام) التعريفيَّةُ في قوله تعالى: ﴿سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ هي لمعنى الجنس، فيشمل كلَّ شاربٍ للَّبن، دون تخصيصٍ لبعضٍ دون بعض، حتَّى إنَّه قيل: لم يغصَّ أحدٌ باللَّبن قطُّ.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/ 201.
(2) البيضاوي، أنوار التنزيل: 3/ 232، والطيبي، فتوح الغيب: 9/ 150.
(3) السّمين الحلبي، الدر المصون: 7/ 258، ودرويش، إعراب القرآن وبيانه: 5/ 330.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/ 201.

سرُّ جمع الضَّمير في ﴿لِّلشَّٰرِبِينَ﴾:

الجمع في ﴿لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ يفيد العُموم، فكلُّ طعامٍ تقبله معِدات بعض الأشخاص، وتعافه الأخرى، إلّا اللَّبن، فإنَّه سائغٌ للجميع، واللّه وليُّ النِّعَم، والمُستحِقُّ وحده لشكرها[1].

كلُّ طعامٍ يدور بين الاستلذاذ والعَيف، إلّا اللَّبن فيستسيغه كلُّ طَيف

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الشُّرب والسَّقي والإسقاء:

الشُّربُ: تناول كلّ مائع؛ ماءً كان أو غيره[2]، والسَّقي: أن يعطيه ما يشرب، والإسقاء: أن يجعل له ذلك حتى يتناوله كيف شاء، فالإسقاء أبلغ من السَّقي، لأنَّ الإسقاء هو أن تجعل له ما يسقى منه ويشرب، تقول: أسقيته نهرًا[3]؛ وتقول لما كان من يدك إلى فيه: سَقَيْته، فإذا جعلت له شِربًا أو عرضته لأنْ يشرب بفيه أو بزرعه، أو دللته على الماء، قلتَ: أسقيته[4]، فالفرق بين السَّقي والشُّرب أنَّ السَّقي بذلُ المشروب، والشُّرب: استعمال المشروب، فصار السّاقي باذلًا، والشّارب مُستعمِلًا[5].

السَّقي بذلُ المشروب، والشّرب استعمال المشروب

(1) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 8/ 4212.
(2) الراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (شرب).
(3) ابن فارس، المقاييس، والراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (سقي).
(4) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (سقي).
(5) الماوردي، النكت والعيون: 3/ 155، 156.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس والعشرون،
سورة النّحل من الآية 1 إلى الآية 71
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس والعشرون، سورة النّحل من الآية 1 إلى الآية 71
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 26 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-23-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 26 : المجلد السادس والعشرون، سورة النّحل من الآية 1 إلى الآية 71.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-23-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9758876 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»